

## الخطبة التاسعة

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

[البقرة: 2 / 186]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2/1] - وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 1/35]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1/18]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1/6]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1/34].

قال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» رواه مسلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك.

بدأت بالحمد لأن الحمد كما قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله» الترمذي، وحسنه ابن حجر رحمه الله تعالى.

#### بحوث وخطب مهمة - جزء (4)

وقال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر» الترمذي صحيح (3148). لماذا سمّي لواء الحمد؟ لأن الحمد هو ما يحبه الله تعالى، والحمد لا يكون إلا لله تعالى، والحمد يكون للنعم الظاهرة والباطنة، والمعلومة والغير معلومة، والحمد هو إقرار من العبد للمُنعم بفضله وكرمه وعطائه، وإقرار من العبد بحاجته وافتقاره لربه، ولواء الحمد لأن رسول الله قال في حديث الشفاعة: «فأتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي» لذلك كان لواء الحمد بيده صلى الله عليه وسلم، وهذه مكانة رسول الله ﷺ؛ لأن الله سبحانه اختاره له فقط من بين الخلائق كلها، وجعله سيد ولد آدم، وهذا هو المقام المحمود، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فأحمد الله سبحانه وتعالى على كرمه وفضله وتفضله على عباده، وأرجوه تعالى أن ترى معي ذلك في آية واحدة من آيات القرآن الكريم وهي (186) البقرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ .

1 - لطف من الله تعالى وتحجب إلى عباده.

2 - قوله: (عبادي) منزلة رفيعة للعباد؛ أنهم عبيد الله، الناس كلهم عبيد الله، لكن إما أن تكون عبداً اختياراً، أو أن تكون عبداً إجباراً، والقول هنا لعباده اختياراً، لأنهم هم الذين آمنوا به وآمنوا بصفاته وأسمائه، وعلموا أنه رب السموات والأرض، صاحب الملكوت والجبروت بيده كل شيء، وبأمره كل شيء، والقادر على شيء.

وقوله: (عني) تتضمن الإيمان به تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته والثقة به:

3 - هو قريب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 50/16]، وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 3/5]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبَّوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61/11]. قال ﷺ: «اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذين تدعون سميع قريب» متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا وارتفعت أصواتنا، فقال ﷺ: «يا أيها الناس...» الحديث، (اربعوا) أي: هونوا على أنفسكم، ولا تتبعوا أنفسكم برفع أصواتكم.

4 - ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: 1 - إما أن يعجل له دعوته، 2 - وإما أن يدخرها له في الآخرة، 3 - وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذا نكث، قال ﷺ: «الله أكثر وأطيب» رواه أحمد، وفي رواية الترمذي: «وإما يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا» فدعاء المؤمن لا يرد والله سبحانه وتعالى أكثر وأطيب.

5 - الدعاء عبادة؛ لأن الدعاء إيمان وتصديق بأسماء الله وصفاته، لو لم تكن مؤمنًا موقنًا بقدرته الله لم تدع، لو لم تؤمن بأنه مالك الملك والمتصرف في كل شيء لم تدع، لو لم تؤمن أنه يراك ويسمعك ويسمع مناجاتك لم تدع، لذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60/40]، ولم يقل سبحانه: إن الذين يستكبرون عن دعائي، بل قال: عن عبادتي وذلك لقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» صحيح الجامع.

والدعاء عبادة؛ لأن الدعاء طلب وتوسل وتذلل وتضرع إلى الله تعالى، وكل هذا عبادة، وهي مناجاة مع الله تعالى، والله سبحانه يحب الدعاء ويحب السؤال، وهذا هو دأب الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ [الأنبياء: 90/21].

(رغباً) أي: راغبين طامعين في رحمته وفضله وكرمه وعطائه، (رهباً): خوفاً من عذابه وعقابه وغضبه، (خاشعين): متواضعين، متذللين، متضرعين، متوسلين.

وقوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ معناه: يجيبك إذا سألكه، وكأن المعنى أنه لا بد لك من السؤال، ولا بد لك من الدعاء؛ لأن ذلك دليل إيمانك وثقتك بالله، وطمعك بالله، وخوفك من الله، وتصديقاً بما جاء به القرآن والسنة، ولمكانة السؤال والدعاء العظيمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيته؟ من يستغفري فأغفر له؟» البخاري متواتر.

هل ترى كرماً أكثر من هذا؟! سبحان الله وبحمده سبحان ربي العظيم.

6 - ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، 1 - من الذي يستجيب؟ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 26/42]، يستجيبون لأوامر الله ونواهيه، يستجيبون لتوحيده ونبذ الشرك والمشركين، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256/2]، يستجيبون بمحبة ورضاً لطاعته وعبادته كما جاءت قرآناً وسنة.

2 - من الذي لا يستجيب؟ قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ﴾ [الرعد: 18/13].

المعاندين والجاحدين والناكرين لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو الذي لا يستجيب، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10/2]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7/3]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5/61].

3 - كيف يستجيبون؟ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38 / 42]، الاستجابة إلى الله تعالى بالإيمان والتصديق والتوحيد الخالص، والقيام بالفرائض، واجتناب الحرام والنواهي، واتباع السنة الصحيحة، والآية أعطت أمثلة، وليست للحصر، فالصلاة والنفقة مثال عن الفرائض الفردية والعينية، وأمرهم بالشورى، مثال عن فرائض المجتمع، أو فروض الكفايات.

4 - عكس الاستجابة: أ- الكفر، قال تعالى: ﴿وَالكٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 26 / 42]، جاءت بالمقابلة مع الذين يستجيبون، لقوله تعالى: ﴿وَسَتَجِدِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى: 26 / 42]، ثم قال تعالى: ﴿وَالكٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 26 / 42].

ب - اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 50 / 28].

5 - تهديد من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّجَاجٍ يُومِذُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: 47 / 42].

6 - الاستجابة حياة في الدنيا، وحياة في الآخرة، حياة سعيدة هائلة مطمئنة مرتاحة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 20 / 123].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24 / 8]، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ حياة هائلة في الدنيا والآخرة، وتهديد من الله تعالى: ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾. المتكبرون، الجاحدون، المكذبون، يطمس الله على قلوبهم فلا يرون الخير ولا يرون السعادة ولا يشعرون بالراحة في حياتهم ولا في معيشتهم، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ فيهما حياة الأبدان، وحياة القلوب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾  
 خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿البقرة: 7-6/2﴾  
 وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ  
 وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿الجاثية: 23/45﴾. وقال  
 تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴿٥٤﴾﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ  
 قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿الصف: 5/61﴾.

الاستجابة حياة ونور، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي  
 مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾  
 [الشورى: 42/52 - 53].

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن قلوب بني آدم  
 كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال ﷺ: «اللهم  
 مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» مسلم (2654)، وقال ﷺ: «ما من قلب إلا  
 وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء يقيمه أقامه، وإن شاء يزيغه أزاعه» مسلم.  
 لذلك لا بد من الالتجاء إلى الله تعالى، ولا بد من الطلب والدعاء فنحن لا حول ولا  
 قوة لنا إلا به سبحانه، نتضرع، نتوسل، ندعو، نلتجئ إليه، وهذا معنى فليستجيبوا لي.  
 وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربكم حيي كريم، يستحي  
 من عبده أن يرفع إليه يديه فيرُدَّهُما صفراً» ابن ماجه صحيح.

7 - ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: الإيمان التام بأسمائه وصفاته، الإيمان التام بقدرته  
 وبربوبيته وألوهيته، الإيمان التام بأنه يستجيب لدعوة الداعي، وأنه قادر على تلبية  
 دعائه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ  
 الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿النمل: 62/27﴾.

8 - ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ : لعل حرف ترجّح وتوقع وإشفاق وتعليل واستفهام.

مصطلح الرشد ورد في القرآن (19) مرة، والرشد يقابله الغي في موضعين من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 2/ 256]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 7/ 146]، وقال ﷺ: «من يُطِعِ الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوي حتى يفيء إلى أمر الله» مسلم.

- الرشد: هو السير في الاتجاه الصحيح، والسداد في الأمر، والقيام بالصواب على الوجه الأكمل، ولذلك أصحاب الكهف سألوا ربهم ذلك، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 18/ 10]، والجن قالوا: ﴿إِنَّا سَعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: 1-2/ 72].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إلى طريق الجنة والنجاة من النار إذا استجابوا لله تعالى وآمنوا به واتبعوا قرآنه وسنة نبيهم ونهجه، وإذا دعوه والتجؤوا إليه وتذلّلوا له وتوسلوا إليه وتقربوا إليه بالطاعات والأذكار والأدعية، فلعلهم بذلك يرزقون الجنة ويرزقون الفضل من الله تعالى لأنه قال سبحانه: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الشورى: 42/ 26]، فالرشاد يكون بقدر استجابتك لله وبقدر إيمانك وبقدر دعائك وتضرعك.

وللدعاء طريقة مثلى علمنا إياها رسول الله ﷺ وهي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته ولم يصل على النبي ﷺ، فقال: «عَجَلْ هذا!» ثم دعاه فقال له ﷺ: «إذا صلى أحدكم - إذا دعا أحدكم - فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليَدْعُ بعد بما شاء» صحيح الترمذي (2765)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا دعا أحدكم فليَعِزِمِ المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مُسْتَكْرَهَ له» البخاري (6338)، وقال ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ، يقول: دعوت فلم يستجب لي» البخاري (6340) - مسلم (2735).

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:

55 / 7]، أمر من الله تعالى بالدعاء، والله سبحانه وتعالى يحب الدعاء وقد أمرنا وعلمنا فقال: تضرعًا وخفية، تضرع لله تعالى، تذلل له، إيك إن استطعت، ادع في أوقات الإجابة في الثلث الأخير من الليل، بعد الصلوات، ادع وأنت خالٍ بنفسك لا يراك أحد، ادع في سجودك، ادع خفية لا يسمعك أحد ولا يراك أحد، ادع وأنت صحيح معافى غني حتى يتقبل منك وأنت في الشدة، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة» الترمذي - صحيح الجامع (2961).

وقصة النبي الصالح يونس بن متى عليه السلام: أنه في ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت فدعا ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87 / 21]، فقال تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88 / 21].

والسبب في سرعة الإجابة وقبول الإجابة لأن يونس عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: 37 / 143 - 144]. وقال ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر من الدعاء في الرخاء» الترمذي والحاكم وصححه - صحيح الجامع (6290).

ادع بين الأذان والإقامة، ادع عند نزول المطر، ادع على طهارة مستقبل القبلة رافعاً يديك، توسل إليه بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180 / 7]، تب إليه واستغفره حتى يستجاب دعاؤك، إياك وأكل الحرام والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم حتى يستجاب لك، «ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!» مسلم.



إياك يا عبد الله والظلم، أي: ظلم العباد والجيران والعمال والذين تتعامل معهم، إياك والظلم أيًا كان ومع من كان، لأن الرسول ﷺ قال: «ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرك ولو بعد حين» ابن ماجه، وقال ﷺ: «ثلاث دعوات يستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده» ابن ماجه.

قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» رواه مسلم، وهذا من الاعتداء بالدعاء كما مر معنا في الآية: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 7/55]. ومن صور الاعتداء، التكلف في الدعاء والسجع، والإطالة، والبكاء العالي والتكلف به، أو أن يدعو دعاء غير شرعي كالتوسل والاستغاثة بغير الله تعالى، أو أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعو بشيء محال أو غير قابل للتحقيق، أو أن يدعو بتفصيل مُمل كقول: اللهم إني أعوذ بك من النار ومن سلاسلها وأغلالها وحرها وبردها ومن ومن... فهذا من الاعتداء.

وقد أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك» صحيح أبي داود (1315). وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت أكثر دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة وقنا عذاب النار» البخاري (6389). وقال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» صحيح الترمذي (2684).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء» صحيح الجامع ابن حبان وأبو يعلى. وعن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» فحسبك أن تقول: «اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه

وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم» صحيح أبي داود (1313) - حم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه» الحاكم في المستدرک.

«قال الله تعالى: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي! كلکم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدکم، يا عبادي! كلکم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمکم، يا عبادي! كلکم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسکم، يا عبادي! إنکم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لکم، يا عبادي! إنکم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منکم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم كانوا على أفجر قلب رجل منکم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالکم أحصیها لکم ثم أوفیکم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156/7]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56/7].

يا عبد الله ثق برحمة الله تعالى، ثق بكرمه ولطفه، ادعُه خوفاً منه، وادعُه طمعاً في رحمته، وطمعاً في جنته، وطمعاً في فضله، وطمعاً في رؤية وجهه الكريم، ادعُه فهو قريب.

وهنا لفظة جميلة؛ وهي أن الصفة تتبع الموصوف، وحسب هذا تكون رحمة الله قريبة من المحسنين، ولكنه قال: قريب وذلك لأسباب منها:

1 - أن قرابة النسب تؤنث، كقولك: هذه المرأة قريبتني.

2 - وإن كانت قرابة المسافة؛ جاز التذكير والتأنيث، كقولك: داره قريب أو قريبة من داري، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17/42].

3 - والرحمة منسوبة إلى الله تعالى، فجاء بقريب لأن الرحمة مصدر بمعنى الرحم - والله تعالى أعلم - ولكن المهم أن الرحمة قريب وقريبة، ورحمته سبحانه وسعت كل شيء، فما عليك إلا أن تطلبها وتتوسل إليه تعالى في نوالها، مع الثقة المطلقة بأنه يسمعك ويراك ويعلم صوت قلبك وصدق إيمانك.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، اللهم اغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم ردنا إلى دينك ردّاً جميلاً، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا ربنا سميع قريب مجيب للدعوات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم من أراد بالإسلام خيراً فوفقه لكل خير، ومن أراد غير ذلك فخذة أخذ عزيز مقتدر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

